Al-Adab Journal **Issue. No (150) (September) 2024**

E-ISSN: 2706-9931 **P-ISSN: 1994-473X**

Humanism According to Sufism

Asst. Lect. Taghreed Jead Dhary
College of Arts/University of Baghdad Specialization: Islamic philosophy
Email: taghreeddhary@gmail.com
Asst. Prof. Ali Faleh Ali (Ph.D.)
College of Arts/University of Baghdad Specialization: Islamic philosophy
Email: alifalih@coart.uobaghdad.edu.iq

Copyright (c) 2024 (**Asst. Lect. Taghreed Jead Dhary, Asst. Prof. Ali Faleh Ali (Ph.D**)

DOI: https://doi.org/10.31973/px6abm12

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract:

Sufism is a diverse and multi-facetd moral and spiritual wellspring , and the spiritual and mystical richness that Sufism bestows is what dissipates and destroys the alienation that are imposed on the human being. This is achieved through affirming the general humanity of the human being and liberating them from all the constraints of the reality of life. For the Sufis, the human being is an entity and an existence that is capable of creating and building, just as their body grows and develops naturally. Their spirit is also capable of ascension, if nurtured in the same way as the body. The central focus of the entire process of building existence is the human being. The significance of Sufism is manifested in its call for coexistence and solidarity among the followers of different religions and sects within a single spiritual system, without regard to religious or ethnic affiliation, and it works towards unifying them.

Keywords: humanity, Sufism, tendency

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

النزعة الإنسانية عند الصوفية

م.م. تغريد جياد ضاري
جامعة بغداد/ كلية الآداب/قسم الفلسفة
taghreeddhary@gmail.com

أ.م.د علي فالح علي
جامعة بغداد/ كلية الآداب/قسم الفلسفة
alifalih@coart.uobaghdad.edu.iq

(مُلَخَّصُ البَحث)

إن التصوف منجما أخلاقيا وروحيا متنوع المكونات ومتعدد المجالات ، والغنى الروحي والروحاني الذي تهبه دائرة التصوف هو ما يبدد قلاع الاغتراب التي تطبق على الإنسان وتحطمها ؛وذلك عبر التوكيد على انسانية الإنسان عامة وتحريره من كل قيود الواقع الحياه الانسان عند الصوفية هو كيان ووجود قابل لأن يصنع ويبني كما ينمو جسده ذاتيا فإن روحه قابلة للسمو وإن رعاها شأن الجسد كما أن محور عملية البناء في الوجود بأكمله هو الإنسان. تتجلى أهمية التصوف في دعوته الى التعايش والتكافل بين أهل الديانات والطوائف داخل منظومة روحية واحدة من دون الالتفات الى الانتماء الديني والعرقي فيعمل على التوحيد بينهما.

الكلمات المفتاحية: الصوفية، إنسانية، نزعة.

مقدمة

يمتاز التصوف في الإسلام بنزعة إنسانية عالمية منفتحة على سائر الأديان والأجناس. قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، هذه دعوة الإسلام لإنسانية واحدة موحدة، وفي حديث الرسول الأكرم ﷺ قال: "أنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"، هذه دعوة صريحة من واضع الملة لتأكيد هذا هو الإسلام الذي يوصل إلى إنسانية لا تفرق بين لون ولون وجنس وجنس وأرض وأرض إلا بالتقوى والعمل الصالح .إنَّ سماحة الإسلام وعفوه وسيره من أعظم أسباب انتشاره فقد تميزت حضارته عن باقي الحضارات لما اتسمت به من معان وقيم فهي أمة الإسلام، والاعتدال، والتسامح، أمة رافضة في جوهرها لكل مفاهيم العنف والكراهية أو العنصرية والاعتداء على الغير بأي شكل من الأشكال بل حتى على الحيوان والنبات، ذلك لأن ؛الأصل في المسلم أن يكون مغلاقا لكل شر مفتاحا لكل خير. إن عالمنا اليوم في أمس الحاجة للرحمة، والتسامح، والحوار البناء، ونبذ جذور العدمية، والتعصب، والانغلاق، وسائر أسباب تغذية ثأر الكراهية بين الأمة والشعوب وإشعال النزاعات والحروب التي تؤدي إلى التدمير العيني لكل ما هو جميل

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

في هذه الحياة أو هذا العام، فالله عز وجل أمرنا بالدعوة إلى سبيله بالحكمة بكل ما تحمله كلمة الحكمة من معاني اللين واللطف، ومراعاة السياق، وحال المخاطب وظروفه، ثم الموعظة الحسنة التي تنفذ إلى أعماق القلوب وتأسرها، ثم معادلة بالتي هي أحسن عند الحاجة إلى المعادلة قاعدة كل ذلك، وأساس مكتوب وما ورد في القرآن الكريم وفي حديث سيدنا محمد (ﷺ) أن الاختلاف في الرأي ووجهات النظر أمر ضروري وجبلي في طبيعة البشر، فذلك راجع إلى اختلاف الإدراك وتفاوت العقول وفهم الناس التمهيد للأمور، يقول الله عز وجل ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا ربك.

الإرادة الحرة والقدر:

يمتاز التصوف الإسلامي بنزعة إنسانية عالمية منفتحة على سائر الأديان والأجناس (بدوي، ١٩٧٥، ٣٥-٣٦)، إذ إنْ وضع الإنسان في الإسلام، ولاسيما لدى الصوفية، محل جدل عند علماء الغرب، فقسموا إلى فريقين: الفريق الأول: يرى أنَّ الإنسان بكونه عبدًا لله تعالى، ومملوكًا ليست له أدنى قيمة أمام تلك الهيمنة الإلهية المطلقة، فهو يكاد لا يكون له كيان أمام قدر لا مرد له. وبحسب هذا الرأي فإنَّ مفهوم المذهب الإنساني الذي تغنت به الحضارة الأوروبية اعتزازا هو عند مفكري الإسلام مصطلح مجهول. أما الفريق الآخر فيرى أنَّ التطور الصوفي اللاحق يكمن فيه خطر تطور المذهب الذاتي القائم على الفكر التحزبي؛ لأنَّ الشخصية الإنسانية في تشدقها وانتفاخ اوداجها، قد تدعي أنَّها صورة مصغرة من الله تنعكس فيها صورته الكاملة، وإنَّ الفكر القائل بكمال الإنسان كان يبدو لبعض المستشرقين خطرًا كبيرًا على علم السلالات البشرية في الفكر الإسلامي المتشعب، تشعب الإسلام ذاته، وإنَّ الفروق بين المتقدمين من الصوفية والمتأخرين فروق عظيمة؛ لذا فإنَّه ليس بالإمكان الإشارة إلا إلى بعض جوانب الإنسان ومن دون التعرف عن أوليائها (شميل،٢٠١٦ ، ص١٥-١٦).

إنَّ الإنسان كما جاء في القرآن خلقه الله بيده، وهذه الفكرة وردت في رواية نبوية جاء فيها أنَّ الله عجن آدم من طين أربعين يومًا قبل أنْ يهبه الحياة بنفخة فيه من روحه. وهذا يعني أنَّ آدم كان تحت تأثير الحضرة الإلهية أربعين ألف سنة (البداية والنهاية، باب ما روي في خلق آدم عليه السلام، ٢٠٠)

وهذا ما دفع الصوفي إلى وصفه آدم بأبي البشر رمزًا للإنسانية بوصفه أنَّ الإنسان بحسب رأيهم مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وقدر تفهم أبناء البشر لمعارج الروح تكون مكانتهم، وتكون منزلتهم قريبة من المبدع الخالق، فالأنبياء وأهل الحق هم خلاصة البشر،

كونهم أقرب الناس إلى جوهر البشرية ومعدنها الصافي النقي (غالب،١٩٨٢، ص٣٩). ودافع المتصوفة عن كرامة الإنسان، إذ يرى جلال الدين الرومي وهو أحد أئمة المتصوفة أنَّ الإنسان هو الخليفة في الأرض، والمخلوقات الأكثر أهمية في الكون، واكتسب هذه المرتبة من قبوله حمل الأمانة آلاف المعارف من كل عام فن، تلك المعارف التي هي أوسع من العلوم الظاهرة، وأعمق من الحروف المكتوبة (أرشدي،٢٠٠٧ ، ص ٢٥).

وعلى الرغم من ذلك هو أكثر المخلوقات عرضة للخطر. كما ذكر بمنزلة الإنسان الأصلية العالية، وهذا ما جاء بالكثير من الآيات القرآنية خُلِقَ الإنسان كما يقول الرومي في صورة أسطورية، من الرشفة الأولى ومن الخمرة الإلهية التي سقطت في التراب، أما جبريل كبير الملائكة فخلق من تلك الرشفة التي سقطت من السماء (أرشدي،٢٠٠٧ ، ص ٢٥) . ويخاطب الحق الإنسان بكلمة (كرمنا) و(لقد كرمنا بين آدم ()سورة الإسراء، آية ٧)، (كرمنا) هذه مثل تاج للإنسان، مثلما أنَّ الكلمة الإلهية (اعطيناك) (شميل، ٢٠١٦، ص١٥)، (إنا أعطيناك الكوثر) (سورة الكوثر، آية ١)، عرض الحق (الأمانة) على (السماء والأرض) لكن الإنسان وحده تحملها. لم يقل الحق (كرمنا) السماء والأرض، على الرغم من أنَّ السماء والأرض تؤديان كثيرًا من الأعمال المدهشة، ووضع الحق تعالى ثمنًا عظيمًا للإنسان، قد غدا الإنسان بهذه الأمانة سواء أفسرت بأنَّها الحب أم حرية الإرادة الجزء الأكثر نفاسة وقيمة من الخلق، والذي لا ينبغي أنْ يساء إليه، ذلك أنَّ الحق سيشتري نفسه، أخيرًا ليأتي بها إلى أسمى القيم الروحية (شميل،٢٠١٦، ص٤١٣-٤١٤).

وإنَّ نظام الخلق هذا هو غاية تكريم الإنسان، إذ إنَّ كل ناحية من نواحيه نتاج إلهي كامل، إنَّه يحيا في روح الله؛ لذا يعد مرآة تنعكس فيها صفات الله، وكما جاء في الحديث ((أنَّ الله خلق آدم على صورته))، وأنَّ آدم ينظر إليه على أنَّه مثال الكمال الإنساني (شميل،٢٠١٦ ، ص٤١٥).

اختير الإنسان ؛بسبب صلته الخاصة بالحدث عندما كانت إنسانية المستقبل ما تزال مخفية في صلب آدم الذي لما يخلق بالخطاب الإلهي: ((ألست ربكم)) أجابت أجيال المستقبل ((بلى شهدنا)) ومنذ ذلك اليوم يوم الميثاق الأول نمت وعاشت تحت سلطان هذا الخطاب الإلهي. لجأ المتصوفة إلى قصة هذا الميثاق الذي يُظهر بجلاء تام أنَّ الكلمة الأولى التي قالها الحق مخاطبًا الإنسان ألست الإله؟ والجواب الإنساني (بلى) يمثلان ختم القلب، هذا العضو مشدود دائمًا إلى الإقرار بقدرة الحق ووحيه اللذين لا حدود لهما، وتتخيل قلوب البشر ثملت من كأس ((ألست)) من خمرة الأزل؛ إنَّها حرة، ((ثملة في طريق أعمال الطاعة))، والوجود الكامل للإنسان محلق بين بداية التاريخ وما وراء التاريخ

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

(شميل،٢٠١٦، ص٤١٦). وقد وجد الصوفية طرائق كثيرة لإثبات تلك الصفات والمكانة للإنسان، ومن الآيات المحببة لديهم (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) (سورة فصلت، آية ٥٣) (سورة مفهومًا أمرًا من الله بأنْ ينظروا في قلوبهم ليجدوا فيها منابع العلم، فيصلوا إلى الله عشقهم الذي هو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد. وربما من هذه الآية أتى حديث ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) (شميل، ٢٠١٦، ص٤٢٣).

كما أكد الصوفية على أنَّ الإنسان له الحق في الاختيار بين الخير والشر؛ لأنَّه مسؤول أمام المبدع الذي جعله في المرتبة الأولى بين المخلوقات ،وفضله عليهم عن كل ما يرتكبه من أفعال (غالب،١٩٨٢، ص٤١) ، إذ إنَّ المرتبة الإلهية في (كرمنا) والجملة القرآنية بشأن الأمانة الإلهية، التي يستطيع الإنسان وحده أنْ يحملها، تشكلان نقطة البدء لتعاليمه حول الاختيار والجبر. ومثلت هذه المشكلة تحير علماء الكلام والمسلمين من البدايات الأولى للخوض في المباحث الإلهية (شميل، ٢٠١٦، ص٤٢٨).

وعند الصوفية لم تكن هذه المشكلة نظرية، ذلك ؛لأنَّهم لم يكونوا مهتمين بالتأملات الصرفة، كان لها تأثير في الحياة العملية، ومن هنا كانت على قدر من الأهمية لدى الجماعة المسلمة (شميل، ٢٠١٦، ص٤٢٨) . وعولوا كثيرًا على وعود القرآن في أنَّ الخير والشر لابد من أنْ يثمر (شميل، ٢٠١٦، ص٤٢٨) حتى (وإنْ كان مثقال حبة من خردل)) سورة الأنبياء، أية ٤٧ (، ويعود مرارًا إلى الوعد الإلهي في أنَّ أعمال الخير(شميل، ٢٠١٦، ص٤٢٩) . (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة ...))سورة البقرة، آية ٢٦).

ما في القلب ينبغي أنْ يتجلى في شكل أعمال حسنة وآثار مفيدة، وهذه في أية حال لا يمكن تحقيقها إلّا إذا امتلك المرء قدرًا محددًا من الإرادة الحرة. أما عند رد فعل الإنسان إزاء مفهوم الاختيار فقد ناقشه الكثير من المتصوفة ،إذ قالوا: إنَّ الإنسان إذا ما أحب شيء واختاره قال إنَّ مخير في حين ما كره على شيئًا هو ملزم بأنْ يفعله، فإنَّه يرى فيه إجبار الله (شميل، ٢٠١٦، ص٢٢٦)

أما مسألة القدر فهي موضع جدل كلامي في الإسلام المبكر، ولم ينته انشغال المؤمنين بها قط، إذ وصفوه بأنه «السر الإلهي من قبل خلق الخلق الذي لا أمل لمخلوق في حله» (شميل، ٢٠١٦، ص٢٢٦) . كان الصوفية على علم بأنَّ التسليم التام الذي لا جدال فيه بالقدر في كل شيء قد يكون له نتائج خطيرة على نشاط الإنسان وعقيدته، وعالج المتصوفة المتأخرون مسألة القدر بإدخالهم مبدأ ((الحب)) إرادة من بالزهد والبلاء والحب قد

بلغ الفناء هي التي تواصل حياتها في إرادة الله. وبذلك فإنَّها لا تصدر في أفعالها عن نفسها، بل إنْ فعلها ينبع من إرادة الله تحت ((الجبر المحمود))

الإنسان عند الصوفية:

الإنسان عند الصوفية: يعرف الصوفية الإنسان بأنه الحيوان الناطق والإنسان الكامل والجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية الكلية والجزئية. وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية، فمن حيث روحه وعقله كتاب عقلي مسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات، فهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلّا المطهرون من الحجب الظلمانية. فنسبة العقل الأول إلى العالم الكبير وحقائقه بعينها نسبة الروح الإنساني إلى البدن وقواه، وإنَّ النفس الكلية قلب العالم، كما أنَّ النفس الناطقة قلب الإنسان، وكذلك يسمى العالم بالإنسان الكبير (الجرجاني ١٩٨٥م، ص٣٩-٤٠).

وإنَّ مفهوم الإنسان الكامل عند الصوفية المقصود به الرسول (ص)، ويقول الشيخ الجيلي في كتابه (الإنسان الكامل): «إنَّه محمد وأنَّه مقابل للحق والخلق» (الجيلي، ١٩٩٨م، ص٢٠٧) ، ويقول: «أعلم حفظك الله أنَّ الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوليه إلى أخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى الأبدين فاسمه الأصلي الذي هو له محمد وكنيته أبو القاسم ووصفه عبدالله ولقبه شمس الدين (ا(الجيلي، ١٩٩٨م، ص ٢١٠).

إنَّ الإنسان عند الصوفية هو كيان ووجود قابل؛ لأنْ يصنع ويبني كما ينمو جسده ذاتيًا، فإنَّ روحه قابلة للسمو إن راعاها شأن العبد كما أنَّ محور عملية البناء في الوجود بأكمله هو الإنسان، ففي الوظائف الثلاث: الخلافة ،والعمارة ،والعبادة يكون الإنسان قطب الراحة الذي عليه مدار هذه الوظائف (سعيدي،٢٠٢٢)

إنَّ أهم مرتكز تستند إليه الصوفية في بناء الإنسان هو الروح وتهذيب النفس. فالإنسان روح وجسد متكاملان، إلّا أنَّه لم يكرم إلّا بعد النفخ بالروح: «إذ قال ربك للملائكة إنِّي خالق بشرًا من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين». وأهم ما يقاس به الإنسان الفرد والجماعة الإنسانية في مساعيها الحضارية هو روحانيتها، وإرثها الروحي.

يا خادم الجسم كم تشقى لخدمته
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
اتطلب الربح فيما فيه خسران
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان (البستي، ١٩٤٨م، ص٤٩)

إنَّ التصوف وما يحويه وما يزخر به بعد بحق رافدًا من روافد الثقافة الإسلامية في كل أبعادها الدينية، والأخلاقية ،والاجتماعية ،والإنسانية ... وغيرها من القيم التي ترمي إلى بناء الإنسان.

تنبه الصوفية للمعاني في الأسفار، فعملوا على تسخيرها في بناء الإنسان وتقويم سلوكه، وذلك ؛لأنَّ تجربة السفر الصوفي تعد سفرًا من أجل التكمل والتجميل وإعادة التوازن لما اختل من السلوك أو الفكر أو الخواطر (التوزاني،٢٠١٤). (شغموم، ١٩٩١م، ص٢٥٨).

إذ عرف السفر أنَّه قطع المسافة، كما عرف السفر بأنه بغي كشف الغطاء عن الرأس أو الخمار عن الوجه أو التراب عن الأرض. واشتقت كلمة المسافر بمعنى المغادر للمكان الذي كان فيه. كما قيل سمي المسافر مسافرًا؛ لأنَّه يسفر عن وجهه وأخلاقه، فيظهر ما كان خافيًا. كما عرف كذلك الإضاءة والإشراق وكلها معاني ينشدها الصوفي المسافر المتحرك بهمته إلى الله (ابن منظور، ١٩٨١ ، ص٣٦٨).

وعند الصوفية الإنسان يجسد في مساره كل أنواع السفر: فخروجه إلى الوجود سفر، ونموه الجسدي سفر ،وكلامه دائم السفر، وحروف كلامه مسافرة عند خروجها من أعماق النفس، وأفكاره دائمة السفر بين المعمور والمذموم. وفي تعبير الرؤيا سفر وعبور من عالم إلى عالم.

إنَّ موت الإنسان سفر أيضًا من العالم المحدور إلى العالم المطلق. فالإنسان إذن في سفر دائم قبل أنْ يخلق ،وحياته عبارة عن سفر من الميلاد إلى القبر، ومنه إلى البرزخ ثم إلى الحشر، فإلى الصراط، ثم إما إلى جنة أو نار، وفي الجنة سفر دائم كما في النار سفر دائم.

فأقضوا مآربكم عجالًا إنَّم أعماركم سفر من الأسفار (التوزاني،)،(العياشي، ١٩٩٩ ، ص ٧٧٢)

واختزلوا الأسفار المشروعة للإنسان في ثلاثة أسفار ضمن ثلاثة أنواع من السفر: سفر من عند الله، وسفر إليه ،وسفر فيه أهمها: السفر الرباني، وهو سفر الأنبياء والأولياء (ابن عربي، ١٩٤٨، ص ٤-٩). ويميز أبو حامد الغزالي بين نوعين من الأسفار:

الأول السفر بظاهر: وهو السفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن إلى الصحاري والخلوات.

الثاني السفر الباطني: وهو السفر الذي يسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السماوات.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وإنَّ أشرف السفرين السفر السفر الباطن (الغزالي، ص٢٤٤).

ما أحسن الضحك الجاري بغير فم ورية غاب عنها هيكل البصر

كن قاطنا ظاهرًا؟ والسر مرتحل فالسير من دون رجل أحسن

السفر(العياشي،٢٠١٩، ص٣٢٣)

سعى الصوفية إلى السمو بالإنسان من وضعه الطبيعي والإنساني إلى مرتبة الولاية: أي من تحديده الدنيوي: أي خضوعه لضرورات المكان والزمان والجسد إلى مرتبة القدسية، إلى التعالي عن تلك الضرورات إلى حدود الفرق (التوزاني،٢٠١٤) (منصف، ٢٠٠٧، ص٢٧٠). وهنا تكمن قيمة المشروع الصوفي في تعديل السلوك الإنساني عبر سفر القلوب إلى يقظته، ومن القلق إلى الاطمئنان والثبات، إذ يرقى الوجدان وتتعشى الروح في مدارج التكمل والتجمل، ليصبح المرء أكثر قربًا من خالقه، ومن ثم أكثر فائدة تعمر في الأرض(التوزاني،٢٠١٤)

إنَّ التصوف منجم أخلاقي وروحي متنوع المكونات ومتعدد المجالات، وهذا الغنى الروحي والروحاني الذي تهبه دائرة التصوف هو ما يبدو ويحطم قلاع الاغتراب التي تطبق على الإنسان. وذلك عبر التوكيد على إنسانية الإنسان بعامة وتحريره من كل قيود الواقع والحياة، وحرص الصوفية على إيلاء الإنسان في منظومة الفكرية مكانة التي يستحقها والمستنبطة أصلًا من التصور القرآني للحقيقة الإنسانية، تلك الحقيقة التي احترمت الكائن البشري وبوأته مركز الصدارة في سلم الكرامة، وأوضحت للناس أجمع أنْ بني البشر من طينة واحدة. وإنَّ هذه الطينة تتساوى فيها جميع الأجناس (كرزازي،٢٠٢٠).

يقول عز وجل (ولقد كرمنا بني آدم). كما بين أصل الطبيعة الإنسانية الواحد متحدة، والتي استند إليها في دعوته إلى التعاطف والمحبة والتآخي. فخاطب بني آدم كافة – من دون تخصيص – نداء بليغا يتوجه إلى الأصل الفطري لكل كائن من الكائنات البشرية يقول تعالى (يا أيها الناس أتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالًا كثيرًا ونساء وأتقوا الله الذي تساءلون به الأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيمًا)

لقد عمل الصوفية على غرس قيم التربية الروحية في النفوس بوصفها النموذج لبناء الإنسان وإخراجه من الجهل والمحن وتجاوز الأزمات، حتى يكون الإنسان المسلم خير ممثل للإسلام في الفكر والروح والسلوك الشخصي، أي متعلقًا بالله تعالى، ومتعاملًا معه بالطريقة التي رسمها الإسلام لهذا التعامل، بناء الشخصية الإسلامية جزء من الاهتمام بالمجتمع والناس، وعملية الإصلاح والتغيير الاجتماعي (كرزازي،٢٠٢٠).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

إنَّ التصوف بمنهجه التربوي يعمل على تزكية النفوس، والتربية على حسب الله تعالى ورسول (ص) وعلى العباد والذكر، وعلى الإخلاص والخلق الكريم، حتى تتكون مجتمعات مسلمة في كل مكان يقومون بدور الصالحين في سبيل نشر الدين الحنيف دين السلام والرحمة والتسامح. إنَّ بناء الإنسان كبناء البيت، يجب أنْ يكون أساسه قويًا، ولن يكون أساسه قويًا إلّا إذا تربى على أخلاق أهل القرآن وأهل الله تعالى والواقفين على حدوده، فمن ربي على هذه الأسس نشأ كالجبل، خلقًا وحكمة وتصرفًا، «فمزارع الصالحين معسكرات المقربين، ومراكز تدريب الأولياء والعارفين هي التي تخرج هذا الصنف العزيز من عباد الله في كل وقت وحين» (أبو زيد، ٢٠٠٧م، ص ١٣٣)

إذ كانت رسالة ممثلي التربية الصوفية عبر تاريخ الإسلام هي إصلاح الإنسان وبناؤه البناء المتكامل، البناء الذي يجعله جديرًا بأنْ يكون خليفة الله في الأرض، والذي كرمه الله عز وجل أفضل تكريم، وخلقه في أحسن تقويم، فهو إنسان اكتملت فيه خصائص الإنسانية، وارتفع عن مستوى البهيمية، وهذا الإنسان الصالح هو أساس الأسرة الصالحة، والمجتمع الصالح والأمة الصالحة، إذ إنَّ أهم عامل من عوامل نجاح أي مشروع إصلاحي أو تنموي يتمثل بالقدرة على إتقان بناء الإنسان، الذي يشكل جوهر العملية التنموية وروحها وغايتها ونجاحها؛ لانَّ بناء الإنسان يعد من أصعب الصناعات التربوية، وفي مقابل ذلك فإنَّ سر فشل مشاريع الإصلاح والتنمية يكمن في الإنسان نفسه، روحًا وفكرًا وآراءً.

لهذا بدأت مناهج التربية الروحية من هذه المسلمة، مركزة على ذلك المضمون الداخلي في الإنسان والمرتبط بالله تعالى، وهو الذي يشكل الأساس الذي يقوم عليه صرح الشخصية الإسلامية بالكامل، وتصدر عنه عناصرها الأخرى وسماتها، وخصائصها المميزة عن الناس، وعلاقة الإيمان بالله وخوفه ورجائه والتواضع له والإخلاص، بالعبادة الخارجية من صلاة وأذكار وصيام، وكذلك الحال في الأخلاق والتربية الروحية هي بالنتيجة بناء هذه العلاقة الداخلية للمؤمن بالله ،وتنميتها، وتحسينها، والحفاظ عليها (قده، ١٩٩٢م، ص٤١-٤٢).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

الاستنتاجات:

١. التصوف منجم أخلاقي وروحي متنوع المكونات ومتعدد المجالات، وإنَّ الغنى الروحي والروحاني الذي تهيه دائرة التصوف هو ما يبدد قلاع الاغتراب التي تطبق على الإنسان وتحطمها، وذلك عبر التوكيد على إنسانية الإنسان بعامة وتحريره من كل قيود الواقع والحياة.

٢. تتجلى أهمية التصوف بدعوته إلى التعايش والتكافل بين أهل الديانات والطوائف داخل منظومة روحية واحدة من دون الالتفات إلى الانتماء الديني أو العرقي، فيعمل على التوحيد بينهم.

٣. إنَّ الإنسان عند الصوفية هو كيان ووجود قابل؛ لأنْ يصنع ويبنى كما ينمو جسده ذاتيًا، فإنَّ روحه قابلة للنمو إنَّ راعاها شأن الجسد. كما أنَّه محور عملية البناء في الوجود بأكمله هو الإنسان.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

قائمة المصادر

١. ابن عربي.(١٩٨٤). الأسفار عن نتائج الأسفار. حيدر إياد الدكن. جمعية دائرة المعارف العثمانية.

٢. ابن منظور.(١٩٨١). لسان العرب. تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد، هاشم الناذلي. القاهرة. دار المعارف.

٣. أبو زيد، فوزي محمد .(٢٠٠٧). الولاية والأولياء. دار الإيمان والحياة. القاهرة. مصر. ط١.

٤. أرشدي، سمير. (٢٠٠٧). رسول العرفان جلال الدين الرومي. مؤسسة جائزة عبد العزيز. الكويت.

٥. بدوي، عبد الرحمن.(١٩٧٨م). تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى القرن الثاني. وكالة المطبوعات. الكويت. ط٢،.

٦. البستي، أبو الفتح .(١٩٨٤م). البيتان . ينظر د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي. ج٣. بيروت. دار العلم للملايين. ط٢.

٧. التوزاني، خالد.(٢٠١٤م). السفر الصوفي وبناء الإنسان. الدراسات الدينية. مقال

٨. الجرجاني، علي بن محمد الشريف.(١٩٨٥). التعريفات. بيروت. مكتبة لبنان.

٩. الجيلي، عبد الكريم بن إبراهيم.(١٩٩٨م). الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر. تح أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويض. بيروت. دار الكتب العلمية. ط١.

١٠. سعيدي ، محمد. (٢٠٢١). بناء الإنسان في الفكر الصوفي الإسلامي . جامعة مستغانم .شغموم، الميلودي.(١٩٩١م) . المتخيل والقدسي في التصوف الإسلامي. مكناس. منشورات المجلس البلدي بمدينة مكناس. ط١.

١١. شميل، آنا ماري. (٢٠٠٦م). الأبعاد الصوفية في الإسلام. ترجمة: محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب. منشورات الجمل. بغداد. ط١.

١٢. شميل، آنا ماري.(٢٠١٦). الشمس المنتصرة. ترجمة: عيسى علي العاكوب. دار تكوين للتأليف والترجمة والنشر. دمشق. ط١.

١٣. العياشي، ابن سالم عبدالله.(١٩٩٨م). تقديم د. خالد سقاط. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الأدب العربي تخصص أدب مغربي. إشراف عبد السلام الهراس. جامعة سيدي مهند بن عبدالله. فاس. نوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

١٤. غالب، مصطفى (١٩٨٢م). جلال الدين الرومي. مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر. بيروت – لبنان.

١٥. الغزالي، أبو حامد ، إحياء علوم الدين، بيروت، طبعة دار المعرفة، د.ت، ج٢، كتاب آداب السفر.

١٦. قده، حسين معنى.(١٩٩٢). نظرات في الإعداد الروحي. تحقيق وتنقيح مؤسسة العارف للمطبوعات. بيروت. لبنان.

١٧. كرزازي، علي.(٢٠٢٠) . النزوع الإنساني والكوني في الشعر الصوفي ابن عربي نموذجًا. الدراسة الدينية.

١٨. مقال عن محمد سعيدي، بناء الإنسان في الفكر الصوفي الإسلامي، جامعة مستغانم، نوفمبر، ٢٠٢٢/٢٠.

١٩. منصف، عبد الحق.(٢٠٠٧). أبعاد التجربة الصوفية: الحب والإنصات والحكاية. دار البيضاء. إفريقيا الشرق، ط١.